ما هي أزمة الصهيونية في الوقت الحاضر

يتمثل جوهر الأزمة، اذا استثنينا تأثر الصهيونية سلباً من مسار غروب الظامرتين الاستعمارية واللاسامية، في واقع تحسن أوضاع اليهود باضطراد في العالم: من جهة، وفي عجز المجتمع الاسرائيلي عن التغلب على مشاكل داخلية كثيرة مستعصية الحل، من جهة أخرى.

ولا شك في أن أفضل طريق يؤدي بنا إلى الاطلالة على الأزمة الصهيونية يكمن في التساؤل: لماذا لم يتمكن الكيان الاسرائيلي منذ ١٩٦٧، وحتى الآن، من ضم المناطق العربية المحتلة؟ لماذا لم يتمكن من تهويدها، أي من تغليب الطابع اليهودي على الطابع العربي فيها؟ لقد شكلت الأراضي العربية المحتلة منذ العام ١٩٦٧، وما زالت، تحدياً حقيقياً للصهيونية. ذلك ان هذه الأراضي تدخل كلها، أو معظمها، ضمن دائرة تصور مختلف التيارات الصهيونية على ضمها أو ضم أجزاء كبيرة منها والحاقها، في نهاية المطاف، باسرائيل. وكان سقوطها تحت السيطرة الاسرائيلية بمثابة فرصة تاريخية لتحقيق هذا التصور، بيد أن التهويد الفعلي لم يحدث. ذلك ان تمكن الصهيونية من غرس قرابة خمسة وعشرين ألف مستوطن في هذه المناطق خلال فترة طويلة نسبياً لا يتناغم مع الأيديولوجية الصهيونية المرتكزة على تهويد الأرض، وان كان قد دق اسفين عملية التهويد. خلال هذه الفترة المذكورة كان من الممكن للصهيونية، لو لم تواجه أزمة ذاتية – انعكست أساساً في عملية نفي «المنفى» – ان تقطع شوطاً بعيداً في تهويد الأرض. فلو سارت عملية نفي «المنفى» كما ترغب اسرائيل، ووصل إلى مجتمع المهاجرين والمستوطنين، سنوياً، خمسون ألف مهاجر يهودي، ليندفع نصف هذا العدد على الأقل، إلى أماكن (أسافين) التهويد المغروسة في المناطق المحتلة على شكل مستوطنات، لأصبحت المناطق العربية المحتلة تسير فعلاً في سياق التهويد الخطر. إذ انها ستكون قد استوعبت حوالي ثلث مليون مستوطن يهودي. ومن الطبيعي أن ينجم عن ذلك، لو تم، خلق واقع ينقل الصراع العربي–الاسرائيلي إلى تحديات أخطر: التوسع الصهيوني من خلال نقاط الارتكاز الجديدة، في مناطق عربية أخرى: الأردن وسوريا ولبنان، مقابل تصدي العرب للهجمة الجديدة. ومن نافل القول أن نتيجة الصراع حول التحديات ستحددها نقاط معادلة القوى بين الطرفين. الا أن ذلك لم يحدث، الأمر الذي حدا باسرائيل إلى خلق مستوطنات صغيرة متناثرة تستوعب كل من يشاء خدمة الصهيونية في دق اسفين التهويد، إلى جانب اقدامها على مصادرة مساحات واسعة جداً من الأراضي تفوق حاجة الاستيطان القائم بكثير، وتلبي استيطان قرابة نصف مليون شخص، وذلك في محاولة منها لتمهيد الأرض أمام احتمال تدفق سيل الهجرة في حال تغلب الصهيونية على أزمتها، من جهة، وتضييق الخناق على السكان الأصليين ودفعهم للرحيل، أي نفي القائم من جهة أخرى.

لذا، يمكن القول ان جوهر أزمة الصهيونية يكمن في واقع تحسن أوضاع اليهود باضطراد في العالم، وفي عجز المجتمع الاسرائيلي عن التغلب على مشاكل كثيرة مستعصية. فهذا الواقع لم يحرم الصهيونية من جلب اعداد كبيرة لبلورة مشروعها